تمظهر الرسائل في المنجز الروائي الإنجليزي والفرنسي في القرن الثامن عشر - دراسة مقارنة -

ملخص

كان للنساء دور فاعل من خلال كتابة الرسائل الروائية، حيث كن يشاركن في الحراك الأدبي و هن في منازلهن يبعثن رسائلهن إلى الصديقات وأفراد أسرهن، سواء كانت تجسد واقعًا حقيقيًا، أو متخيَّلاً. و كان من نتائج هذا التوجه أن نُشر لهن و من الروايات التي نالت إعجاب القراء في القرن17th إيفيلينا (*Evelina*) للكاتبة مدام دي أربلي/ فني بيرني*Madame d' Arblay Fanny Burney*

د . ثريا عبد الوهاب العباسي

كلية الآداب واللّغات
جامعة الملك عبد العزيز
جدّة ـ السعودية

Abstract

The epistolary novel, in the English and French literature, reflects the social relationships, immorality, degraded behavior among some of the society segments thus it tends to criticize the community and opposing the social fact that some segments of the society lives, namely aristocrats as well as aristocrats' way of life, lavish living in terms of clothing, food and parties for fun rather than for intellectual gathering. In the same time, epistolary novels depicts how poor and destitute lives; however, such literature is rich in terms of eloquence, writing skills and imagination. Nonetheless, women were the pioneers in such literature as their role in literature is conspicuous although they were writing their topics from their homes thus sending the same to friends and family members regardless of fiction or nonfiction concepts.

Therefore, the women output of epistolary novels had received ample recognition and their work published widely thus commended highly in the 17th century

مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء مقاربة منهجية لأشكال تمظهر فن الرسائل في الرواية الإنجليزية والفرنسية – دراسة مقارنة- بوصفها نوعا جديدا كان لها حضور في المتن الروائي، الشيء الذي أسهم بشكل كبير في إعطائه مسحة جمالية، ولعلّ ما زاده تألّقا وتميّزا هو حضور المرأة في هذا النوع من الكتابة السرديّة والذي كان حكراً على الرجل دون المرأة لفترات زمنيّة طويلة، وهو ما يعني أنّ المرأة ليست بمنأى عن سيرورة الأحداث التي تجري في المجتمعين– الإنجليزي والفرنسي-، وهو ما انعكس جليّا عبر هذا التواصل الإنسـاني بين

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

الأفراد، كاشفا هذه العلاقة الحميميّة بين الناس في رؤية الآخر والحياة.

انطلاقا من هذا التصور الإبستمولوجي يسعى هذا المقال إلى الوقوف على مختلف أشكال تمظهر الرسائل، مبرزا جماليات هذا النوع من الكتابة الروائيّة، كاشفا عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأدبين من حيث طريقة الحكي، وآليات الخطاب المتعددة في هذه الكتابة.

مفهوم الرسائل الروائية:

يؤكِّد التاريخ الأدبي، أن الأدب بوصفه ثابتا إنسانيّا، يميّز فيه عن مختلف المتغيّرات الجماعيّة للفرد والمجتمع من خلال رصد مراحل تغيّرها وتطوّرها، ويرصد فكرها السائد، و ما ينتج عنه من فعل يتجسد في السلوك. لذلك ظهرت في التاريخ الأدبي تصنيف الأدب إلى أجناس وأنواع أدبية واءمت طبيعة العصر والتغيرات الحياتية التي طرأت على المجتمع الإنساني، فكان ظهور هذا النوع الأدبي الجديد الذي أطلق عليه في الآداب الأوروبيّة: "الرّسائل الروائية "Epistolary Novels، وهو أسلوب أدبي دمجنوع الرسائل Epistle، بجنس الرواية Novel في جنس أدبي واحد، هو الرسائل الأدبية Epistolary Novels.

الرسائل الروائية هي رسائل تُكتب بأسلوب قصصي أو روائي، تتضمن عناصر سردية؛ كالوصف والحوار والشخصيات والأحداث، والمكان والزمان،... الخ. أمّا مضامينها فهي متعددة ومتباينة حسب ما يرمي إليه الكاتب من طرح يهدف إليه؛ فقد تكون نقدا أو نصائح، أو حافزا، أو تبادل آراء أو أفكار. وتعدُّ الرسائل من أساليب التواصل الاجتماعي، إلاّ أنها اشتملت على البعد المعرفي في المجتمع الأوروبي.وقد لقي هذا النوع الأدبي ذوي الفكر الذين يعبرون بالكلمة عن رؤاهم وما يطمحون إليه من تطويع الأدب ليصور الواقع الإنساني ويتماشي مع القيم والفضائل التي ينشدونها ويحفزُّون على نشرها و ممارستها في المجتمع، وقد استجابت المرأة لهذا النوع من حيث إنّه فضاء رحب للتعبير عن عواطفها وأحاسيسها، وتجسّد واقعها – إيجابياته وسلبياته- .

مصطلح الرسائل الروائية (Epistolary Novel):

تستخدم الرسائل الروائيّة أسلوبا جديدا في بنية الخطاب، وهو مغاير للأشكال التقليديّة السرديّة المعروفة (كالقصّة، والرواية، والمسرحيّة)، وعلى الرغم من ذلك تتضمن عناصر مماثلة لما عُرِفَ عن الأشكال التقليدية، كالشخصيات والزمان والمكان والأحداث والحوار الذي يظهر في تبادل الآراء والأفكار.

إنّ الرسائل الروائيّة بوصفها نوعا أدبيّا تجسّد الحياة الاجتماعيّة، وتحدد اتجاهاتها حيث إنّها أشكال أدبية تعمل داخل نظام اجتماعي، وروائي جماعية للمجتمع الإنساني في أزمنة معيّنة وأمكنة محدّدة، حيث يتفق بناؤها الشكلي ومواضيعها مع تطلعات

شرائح اجتماعيّة، وعلى هذا الأساس تعمل الرسائل الروائيّة على تقديم انتقادات لبعض السلوكات الاجتماعية والأخلاقيّة التي تنتشر في المجتمع، "فأخذت الرسائل بُعداً يشير إلى الجدّية من ناحية، والبعد عن الأساليب المتخيّلة من خلال نص الرسالة الروائي من ناحيّة أخرى، وفي ذلك تكون لغة الرسائل وعناصر بنائها الشكلي أقرب إلى الأدب الذي يصوّر الواقع عنها إلى الأدب الذي يغلب عليه الأسلوب الخيالي" (1)، وقد ظهرت هذه الرسائل في بداية الأمر في الآداب الأوروبية منذ العصور القديمة، حيث كان أوّل ظهوره لها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكانت تلك الرسائل يتمّ تراسلها بين المهتمين بأمور دولة مصر القديمة، كذلك في سجل التاريخ رسائل بين المحاربين الذين غزوا شمال سوريا، إذ كانوا يُسمّون بالـ (hittite) في فينيقيا (phoenicia)، تداول الرسائل كان يتعلّق بتناقل معلومات حتّى ولو كانت قد صيغت بأسلوب يعتمد على الحوار بين الشخصيات (2).

في الأدب انجليزي والفرنسي ظهرت الرسائل الروائية (Epistolary Novel) ، كجنس أدبي في القرن السابع عشر، وبلغت قمة ازدهارها في القرن الثامن عشر، إلاّ أنها تعود تاريخيا إلى العصور القديمة منذ القرن الخامس عشر ق . م. (3). حيث كانت كتابة الرسائل تمارس كوسيلة للتواصل بين الأفراد و سجل للأحداث التاريخية، ومن ثم كوثيقة تعتمد عليها الدول في التعرف على أمور ذات علاقة بالدولة مع غيرها من الدول الأخرى، سواء علاقات سلم أم حرب. ولعلّ ما يعزز حضور الرسائل في العصور القديمة هو وجوده في الكتاب السادس من إلياذة هوميروس، (ملحمة الإلياذة) ما يشير إلى أنها أول رسالة كُتبت في الأدب الإغريقي، وقد دعّم هذا الرأي المؤخرون من خلال أسطورة الحصان ذو الجناحين (4) وكانت ضمن جنس أدبي كان سائدًا في الأدب الإغريقي، هو الملحمة التي تتضمن عناصر روائية كالأشخاص والأحداث والحوار والمكان والزمان ...الخ، فهي من جهة البناء الأدبي قريبة من الرواية، ومن ناحية أخرى هي تتضمن أو تحمل رسالة فيها دلالة إخبارية. (Godfrey, 1933 , p: 2)

وحيث كانت للرسائل بدايات أولية في قرون سبقت القرن الثامن عشر، فإن ظهورها في شكلها الروائي في أدب القرن الثامن عشر كان ناتجا عن التطور التاريخي نتيجة المتغيرات التي طرأت على المجتمع الغربي؛ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري والأدبي، بدءًا من العصور السابقة للقرن الثامن عشر.

في بداية القرن السابع عشر، اتخذت الشريحة المثقفة من كتابة الرسائل وسيلة تعليمية. فاجتهدت في ممارسة كتابة الرسائل بهدف تنمية الكتابة الأدبية البليغة، و كانت الدراسة في المدارس تشجع الطلبة على محاكاة الإغريق والأسلوب اللاتيني في كتابة الرسائل، حيث تم إصدار صحيفة خاصّة بهذا النوع من الكتابة؛ مثل صحيفة (*Tatler* 170) (5) ، وصحيفة (*Spectator*1711) (6) ، التي أخذت تستقبل العديد من الرسائل التي تُرسل لنشرها، حتّى إنّ بعض الكتّاب يتواصلون مع بعضهم عن طريق الرسائل التي ينشرونها في الصحيفتين. وقد انتشرت هذه الظاهرة الأدبية حتّى أصبح

القرن الثامن عشر يُطلق عليه عصر الرسائل بدل عصر العقلانية، ولأن الرسائل أسهمت في إثراء الأدب، فلقد اعتبرت مصدرا من مصادر المعرفة الفكرية والأدبية التي ترصد الواقع الاجتماعي والفكري للعصر (7).

ومع حلول القرن الثامن عشر، ظهر الكثير من الأعمال الأدبية في شكل رسائل من قبل كتّاب نساء ورجال. وكان بعض هذه الأعمال رسائل حقيقية يتضمن الجوانب الفنّية للعمل السردي الذي يجنح في أحيان كثيرة إلى الرسائل الروائية.

الرسائل الروائية في الأدب الإنجليزي:

من أشهر كتّاب الرسائل الروائية، الكاتب الروائي الإنجليزي، صامويل ريتشاردسون، (Samuel Richardson) الذي يُعتبر من أشهر من صوّر الواقع الاجتماعي الإنجليزي من خلال أدب الرسائل، مصوِّرًا بأسلوبه الروائي البليغ ما يظهر في المجتمع الإنجليزي من فساد نتيجة الفوارق الكبيرة بين شرائح المجتمع، وما يبدو منتشرا بوضوح من صراع بين طبقاته، وما ينتج عن ذلك الصراع من أوجه متناقضة في السلوك والأخلاق؛ تصور الفضائل و الرذائل السائدة في المجتمع. (8) كتب رواية باميلا Pamela أو كما أطلق عليها بعض النقّاد؛ (مكافأة الفضيلة) (Virtue Rewarded) (9) والتي تُعتبر من أشهر الروايات، في القرن الثامن عشر. حيث اعتبرت مصدرا أدبيًّا للتعرف على الواقع الاجتماعي لبعض شرائح المجتمع الأوروبي، وما كان يسوده من أخلاقيات وسلوكيات خاطئة، من قبل الطبقات الأرستقراطية ضد الطبقة الوسطى. حتّى أصبحت الرواية من الأدب الرفيع الذي يُدرس في مراحل الدراسات العليا في الجامعات الأمريكية،

تتحدث الرواية عن فتاة من أسرة فقيرة تعمل خادمة في منزل عائلة أرستقراطية. تظل الفتاة رغم تعرضها لمضايقات ابن العائلة التي تعمل عندها، محافظة على الأخلاق الفاضلة. وعندما اشتد بها الأذى، بدأت تراسل والديها برسائل تحمل في مضمونها سلوكيات بعض أفراد الأسرة الأرستقراطية، وتصف أخلاقيات بعض أفرادها ومجتمع الأثرياء. حتّى عندما تغير وضع الفتاة الاجتماعي بعد زواجها من أحد أبناء الأسر الأرستقراطية، ظلّت محافظة على الفضائل والأخلاق التي ربيت عليها وحافظت عليها منذ صغرها.

رغم أن الرواية كُتبت في شكل رسائل، إلاّ أنها جسدت البناء الروائي وعناصره؛ فالشخصيات كانت متواجدة، والحدث، والمكان والزمان، والوصف والحوار، كعناصر الحكاية كانت متوفرة، وفي الغالب كان يدور حول صراع الطبقات الاجتماعية والعلاقات فيما بينها، إضافة إلى الإشارة إلى الصراع بين الأخلاق الفاضلة والأخلاق الذميمة التي تجسدت في سلوكيات بعض الشخصيات. إضافة إلى المكان والزمان، والحوار بين الشخصيات (10).

الرسائل الروائية في الأدب الروائي:

أمّا الأدب الفرنسي فقد أنتج في القرن الثامن عشر روادا بارزين في جنس الرسائل الروائية. واحتلت أعمالهم الأدبية مكانها في المجال الأكاديمي، حيث اعتبرت الرسائل الروائية مصادر ومراجع تدرّس في الجامعات ومصدر معرفة يتبادلها المثقفون، وتختزنها المكتبات، إضافة إلى أنها اعتبرت سجلاً تاريخيا يدون المتغيرات التي تحدث في المجتمع الفرنسي.

من مشاهير الكتّاب الرجال؛ الكاتب Nicholas Breton الذي ظهر له عمل أدبي في جنس رسائل قصصيّة في فرنسا عام (1603) بعنوان: " *P*oste with a Packet of Mad Letters " تضمّنت هذه الرسائل النصح للشباب في الأمور المتعلقة بشؤون الحياة اليومية، لكنّها طبعت بالطّابع الفلسفي. ثم ترجمت من الأدب الفرنسي إلى الأدب الإنجليزي في عام (1678) كذلك ورد أن من أوائل الرسائل الروائية التي ظهرت في الأدب الإنجليزي، تُرجمت من الأدب الفرنسي في سنة (1678) م. (Oxford Companion To English Literature).

ومن أشهر الأعمال التي ظهرت في الساحة الأدبية، عمل أدبي من جنس الرسائل الروائية، للكاتب الفرنسي تشارلز مونتيسكيو(Charles de Montesquieu) (-1689 1755)، بمسمى (الرسائل الفارسية) (Persian Letters) في عام *1712*. يُعد من أشهر الأعمال الأدبية التي جسدت المجتمع الفرنسي برؤية أحد الغرباء عنه. بلغ عدد "الرسائل الفارسية" 161 رسالة، تم تداولها بين عدد من شخصيات ليست فرنسية الأصل، بل فارسية، حيث تعمّد الأديب أن يصور المجتمع الفرنسي وما يتخلله من أساليب حياتية وعادات يراها الأديب لا تليق بمجتمع متحضر، من قبل شخصية غريبة ليست من الفرنسيين، ويهدف مونتيسكيو من مضمون الرسالة نقده للمجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر، حيث صورت الرواية ما كان يسوده من فساد اجتماعي بين طبقات المجتمع الفرنسي رغم أن الشخصيات كانت فارسية، وعنوان الرسائل فارسية، إضافة على وجود بعض الملامح التي تشير إلى عادات المجتمع الفارسي، خاصة الرسائل التي كانت بين أوزبك (Uzbek) أحد الشخصيات البارزة، وبين زوجته روخصانة (Roxana). صنّف النقاد هذه الرسائل بأنها هجاء لاذع للمجتمع الفرنسي، إلاّ أنها تأخذ طابع التّسلية الممتعة، صادرة من قبل شخصيات غير فرنسية، الأمر الذي يضاعف من قسوة النقد الذي وجهه مونتسكيو لما كان سائدًا في المجتمع الفرنسي من انحراف وفساد. (11)

افترض الكاتب شخصيات فارسية تعيش في فرنسا، صورت المجتمع الفرنسي وما كان يسوده من تفاوت بين طبقاته الاجتماعية، في الواقع المعيشي وما يترتب عليه من أخلاقيات وسلوك اجتماعي، ثم يرسل هذه الصور عن المجتمع الفرنسي إلى زوجته في بلاد فارس، حيث تستمر المراسلات بين أوزبك (Uzbek) وزوجته روخصانة (Roxana). (12)

من الملاحظ أن مواضيع الرسائل تميل إلى نقد المجتمع، ورفض الواقع الاجتماعي بشكل عام وعلى وجه الخصوص، الواقع الذي تعيشه بعض الطبقات الاجتماعية ذوات المستوى الأرستقراطي، كما تتضمَّن تفاصيل الحياة التي تعيشها تلك الطبقات الأرستقراطيّة، ووصف مظاهر الحياة المترفة التي تتمثّل في البذخ في الملبس والمأكل وحضور الصَّالونات الأدبيَّة للظُّهور فقط، وليس للملتقيات الفكريَّة والأدبية. والشعور بالاستعلاء من خلال هذه المظاهر على الطبقة المتوسطة. (13)

إسهاما ت المرأة الأوروبية في جنس الرسائل الروائية:

في القرن الثامن عشر، ظهر العديد من أسماء الكاتبات الإنجليزيَّات والفرنسيَّات اللّاتي اشتهرن بكتابة الرسائل؛ تارة كروايات في شكل رسائل، وتارة أخرى رسائل متبادلة بين شخصيتين (الشخصية المرسِلة، والشخصية المرسل إليها). إلاّ أن الرسالة تتضمن مواضيع وأحداث وأماكن وأزمنة، وورود أسماء لأشخاص عديدين، يشكلون الحراك للأحداث الواردة في الحوار، رُغم أن الرسالة يُفعِّل مضامينها شخصيتين فقط، تتبادلان المراسلات، بذلك لم تكن المرأة بمنأى عن هذا الحراك الأدبي واستثمار نوعًا أدبيًا يتناسب من طبيعتها الأنثوية. فشاركت بالكتابة الروائية في شكل رسائل، وأثرت ساحة الأدب والمكتبات بنتاج أدبي رفيع المستوى. وقد كانت البدايات الأولية لدخول النساء مجال الكتابة، كانت تتمثّل في كتابة الرسائل في الصحف، إلاّ أن كتاباتهن – كما ورد عن بعض الكتّاب الرجال - كانت محاكاة لما يكتبه الروائيون الرجال، (14) ذلك لأن المجتمع الرجولي لم يكن يرغب في الاعتراف بكتابات النساء في مجال الأدب عامّة، والرسائل الأدبية. إلاّ أنهن في البداية لم يكن يشكلن خطورة على الكتّاب الرجال، لكن رغم ذلك فقد استطاعت النساء اقتحام مجال الإبداع الأدبي، ففي العصور الوسطى لعبت النساء دورا في الكتابة كسكرتيرات أو ناسخات، و كان من نتيجة ذلك أن أصبحن ماهرات في كتابة الرسائل، فاتخذنها وسيلة للتواصل بينهن وللتعبير عن واقعهن ومتطلباتهن الحياتية وما يعانينه من صعوبة الحياة، إلاّ أن الرسائل لم تأخذ آنذاك الطابع الأدبي، وهكذا كان لعمل النساء في مجال كتابة الرسائل أن منحهن المقدرة في كتابة الرسائل الخاصة، وليست الرسمية، التي تطورت فيما بعد إلى جنس روائي، لأنها ارتكزت على عناصر الرواية.

إسهام الكاتبات الإنجليزيات في جنس الرسائل الروائية:

يؤكد التاريخ الأدبي ظهور كاتبات نساء كاتبات بقرن تقريبًا قبل تطور نوع الرسائل الروائية على يد الكاتبين:دانيال ديفو(1731 – 1660) Daniel Defoe وصامويل ريتشاردسون (1761 – 1689) Samuel Richardson اللذان كانا يُعتبران المؤسسان الحقيقيان لجنس الرواية الإنجليزية عامة والرسائل الروائية خاصّة، هما الكاتبتان: (89- 1640 phraBehn) و *(1664)* Margaret Cavendish وكانت معظم مواضيع رسائلهما تدور حول الحياة الأسرية؛ والزواج والأمومة، ووضع المرأة . *(see .(272*

Olga 1997,A phraBehn تمتلك من القيم والنشاط الفكري والاجتماعي ما أهلها لتصبح من رموز المجتمع الإنجليزي، ورُغم أنها من الطبقة المتوسطة، إلاّ أنها استطاعت أن تشارك جنبا إلى جنب مع الرجل في مجال الكتابة الإبداعية، والتعبير عن حقوقها في حرية التعبير، والعيش الكريم. (15)

رُغم أن البداية لظهور بعض من هؤلاء الكاتبات كانت بجهود فردية وغير منتظمة، في منتصف القرن السابع عشر إلاّ أنه في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر، كان للمرأة ظهور واضح ومنظّم، وذلك بتشكيل مجموعة من الكاتبات أطلقت على نفسها اسم ذوات الجوارب الزرقاء(The Bluestockings). (16)

لعبت هذه المجموعة النسائية دورًا بارزًا في إيجاد حراك أدبي في الوسط النسائي، من خلال الصالونات الأدبية التي كن يدرنها، و تحفيز العنصر النسائي عامّة على الكتابة الأدبية عبر الرسائل التي اتسمت بالحكمة والأمانة في ما يكتبنه من مواضيع وأفكار أو التعبير عن واقعهن الاجتماعي.

كما وردت الإشارة إلى أن بداية ظهور الكاتبات في الأدب الإنجليزي، كان بالكاتبة أفرا بين (A phraBehn 1640 -89) التي اشتهرت برسائلها الروائية: "رسائل عائليّة بين رجل نبيل وأخته "بعنوان:(Letters Between a Nobleman and his Sister) *نشرت في عام 1683م.* ، تُعالج فيها قضايا أسرية تتعلق بالوضع الاجتماعي ومشاكل الإرثفي الأسرة. لها العديد من المؤلفات، ظهرت في قالب مسرحي، وبعضها في شكل الرسائل.(الأعمال الأدبية التي كتبتها أفرا بين (A phraBehn)، تتناول مواضيع حياتية وأسرية، وأمور تتعلق بالمجتمع. كالزواج بالإكراه، والكتابة عن الوالدين والأبناء، وغير ذلك من المواضيع. (17)

Fanny Burney (1752) التي لاقت قصَّتها (إفيلينا) Evelina شهرة ليس في الأدب الإنجليزي فحسب، بل في الآداب الأوروبّيّة، كانت تجسد إمكانات المرأة الإنجليزية ومهاراتها الكتابية التي استطاعت عن طريقها أن تعبر عن أفكارها و مشاعرها.[17].

حيث كوّنت لنفسها مجتمعًا أنثويًّا تمثّل كما رأينا في المجموعة التي أطلقت على نفسها اسم الجوارب الزرقاء (The Bluestockings) لتدخل من خلالها مجال الكتابة الأدبية، وتشارك المجتمع بما تنتجه من إبداع أدبي تمثّل في الرسائل التي كانت تتبادلها فيما بينها، سواء كانت تتضمن حقائق أو أمورًا متخيَّلة. وكانت معظم الرسائل كما وردت الإشارة إليه، تتضمّن مواضيع أسرية أو تعبيرا عن واقع المرأة أو مطالبة بحقوق لم تنلها في المجتمع، وفي كل ذلك تضمين لقدراتها الكتابية وإمكاناتها الأدبية، واستطاعتها الفكرية للخوض في مجال الإبداع الأدبي.

كتبت السيدة ميري ورتلي مونتيجيوLady Mary Wortley Montagu[18]رسالة لابنتها بعنوان: To the countess of Bute "تحثها على التحصيل العلمي، مؤكدة لها أن أفضل

ما يحققه الإنسان هو فهم المعرفة التي يدرك بها الإنسان الفرق بين الأشياء وما لها من قيمة، ومبينة أن التعليم في الصغر يساعد على زيادة الوعي،وأن السعادة تكمن في المعرفة، والمعرفة تتحقق بالتعلم، واللغة هي مصدر التعلم".[19]

الأفكار الواردة في الرسالة تدل على ما كانت تتمتع به المرأة الإنجليزية في القرن الثامن عشر من طموح ووعي لتنال حقها في التعلم والحصول على المعرفة من مصادرها المتعددة، والتي من أهمها التعلّم، وهو الذي يبدو واضحًا من خلال الرسائل التي توجهها سيدات المجتمع الإنجليزي لبناتهن، أو قريباتهن، أو حتّى الصديقات، وحثهن على التعلُّم، ليتمكن من المشاركة الفاعلة في المجتمع، ليس في إطار الأسرة و ما تتطلبه من إسهام، إنما لتدخل مجالاً أوسع من نطاق الأسرة، مجالاً تثبت فيه إمكاناتها واستطاعتها في بناء المجتمع سواء بسواء مع الرجل.

كذلك كتبت الكاتبة الإنجليزية إليزا بيث مونتيجيو (1720) Elizabeth Montagu) أو كما كانت تلقب ملكة الجوارب الزرقاء، (The Queen of Bluestockings) رسالة تضمنت وجهة نظرها في الحياة وفي الواقع الذي تعيشه المرأة الإنجليزية، كما عبرت عن فكرها ورؤيتها في الإنسانية عامّة: [20]

رغم بساطة المواضيع التي كانت تتضمنها رسائل الكاتبات، إلاّ أن المرأة الإنجليزية استطاعت أن تنافس الكتّاب الرجال في المجال الأدبي، حيث أثرت المكتبات بما كانت تنشره من رسائل وأعمال أدبية، كما أوجدت لنفسها مناخا تجذب إليه مشاهير الكتّاب والشعراء، في الصالونات الأدبية التي كانت تلعب دورًا كبيرا في انتشارها وإدارتها.

وبالتالي، فبعد أن كانت منعزلة عن المجتمع الفكري والأدبي الذي يرتاده الكتاب الرجال، حين كان الاعتقاد السائد في المجتمع الإنجليزي والفرنسي، أنه من غير اللائق أن تظهر المرأة في أماكن مفتوحة في المجتمع مع الرجال، أو تقوم بأعمال تنافسية فكريا وأدبيا مع الرجال. خلقت لنفسها مجتمعا حققت فيه ذاتها من خلال الكتابة في جنس الرسائل الروائية.

هكذا كان للمرأة حضور بارز في ساحة الأدب، وكان أكثر فاعلية من خلال كتابة الرسائل الروائية، التي واءمت طبيعة ظروفهن الاجتماعية آنذاك، حيث كن يشاركن في الحراك الأدبي و هن في منازلهن يوجهن رسائلهن التي تمت صياغتها في قالب روائي، و كان من نتائج هذا التوجه للمرأة أن ظهر العديد من الكاتبات اللّاتي نُشرت لهن روايات صِيغت في شكل رسائل. حيث كانت الرسائل الأسلوب الأدبي الذي استطعن أن يعبرن من خلاله عن واقعهن وطموحهن.[21] رُغم أنهن كن يعانين من قيود تحد من حريتهن في التعبير عن آرائهن، لذلك اتخذن من الرسائل وسيلة يشاركن بها في مجال الأدب، وكان لهذا الفعل أثر كبير في الخروج من عزلتهن ليشاركن فكرًا

وفعلاً في في الحراك الفكري والأدبي.كما ساهمت كتاباتهن بتوعية المجتمع بمختلف شرائحه لمواكبة المتغيّرات الحياتيّة والفكريّة في المجتمع الأوروبي، بشكل عام وعل وجه الخصوص في المحيط النسائي. ففي الوقت الذي لعبن فيه دورا في إيجاد حراك فكري من خلال نتاجهن الأدبي المتمثِّل بشكل خاص في كتابة الرسائل، كان لظهور هذا النوع الأدبي (الرسائل الروائية) يُعد بمثابة جسر تعبر منه إلى فضاء حرية التعبير عن واقعها الاجتماعي وظروفها الحياتية، حيث واءمت نوعية جنس الرسائل مع طبيعة المرأة الأنثوية في التواصل مع مثيلاتها النساء في الواقع الحياتي، وكذلك للتعبير عن همومها ومشاكلها وطموحها، حتّى أصبح جنس الرسائل الروائية جسرا تعبر المرأة من خلاله إلى الآخر عن طريق رمزية التواصل الكتابي، فكانت الرسائل من ناحية وسيلة التواصل، ومن ناحية أخرى نوع أدبي وظّف لمعالجة أمور حياتية من خلال عرضها بشكل أدبي توفرت فيه عناصر الأسلوب الروائي؛ الأحداث، الشخصيات، المكان والزمان،

استمر هذا النوع من المخاطبات الروائية حتّى أواخر القرن الثامن عشر، سائدا بين طبقة الكتّاب والكاتبات الروائيين وخاصّة في الروايات المفرطة في العاطفة والإحساس بالواقع الحياتي الذي يحتاج إلى تغيير للأفضل، حيث كان للكلمة دور كبير في تحقيق هذا التغيير الذي لعبت فيه المرأة الإنجليزيّة دورا بارزا، وذلك بمشاركاتها في التأليف الأدبي الذي يعالج أمورًا حياتية للمجتمع الإنساني، حيث وجدت فيه مجالاً خصبا لممارسة نشاطها الفكري والأدبي دون حرج أو اعتراض من المجتمع، معبّرة عن آلامها وآمالها وطموحاتها التي تسعى إليها لتحقيق ذاتها في مجتمع لم يكن يمنحها حقّها في الحياة الفكريّة والأدبيّة.

بذلك استطاعت المرأة الإنجليزية أن تساهم بكم كبير من إنتاج أدبي رفيع المستوى يجسد واقعها الاجتماعي، ويصور طموحها لمستقبل تصبح فيه مشاركة بفاعلية في الإبداع والإنتاج الأدبي؛ تمثل بداية في مسيرتهن الأدبية التي سجلن فيها بأسلوب غير مباشر، واقعهن الحياتي، و أثبتن اقتدارهن في الكتابة في مختلف الأجناس الأدبية؛ في الشعر والقصة والرواية، بعضها واقعي والآخر خيالي، إلاّ أن نوع الرسائل واءمت ظروفهن الاجتماعية، وطبيعتهن الأنثوية، حيث يرصدن واقعهن الاجتماعي ومعاناتهن، وطموحهن في رسائل يتم تداولها بين الصديقات أو القريبات في قالب روائي يُصاغ بأسلوب قد يدخل فيه الخيال. إلاّ أن هذه الرسائل الروائية رصدت الكثير من المعلومات عن المجتمع الغربي، بصفة عامة وواقع المرأة الغربية على وجه الخصوص. هذا الرصيد المعرفي عن واقع المرأة في المجتمع الإنجليزي أصبح مصدرا يستقي منه الكتاب الرجال معلومات تغذي نتاجهم الأدبي. وذلك لأن الكاتبات كن يسلطن ضوء أعمالهن الأدبية على الأحداث التي يعشنها، ولكن لم تخلو كتاباتهن من الرصيد الفكري والمعرفي، إضافة إلى المواضيع ذات العلاقة بالتاريخ والتراث.

رغم أن مضمون الرسائل كانت تركز على حياة الكاتبات وواقعهن الذي يعشنه، والعلاقة الأسرية بين المرأة والرجل سواء أما أو أختا أو زوجة؛ وما يشعرن به من معاناة ومجاهدة نفسية في مقاومة الواقع الذي يعشنه من سوء معاملة الرجال وتضييق حريتهن في التعبير، إلاّ أنهن مع كل ذلك كن يتمتعن بطموح كبير لتحسين أوضاعهن في المجتمع، واستثمار قدراتهن الكتابية لهذا الغرض. وليثبتن اقتدارهن الكتابي الذي يجسد واقعهن الحياتي. يقول جون جوليانوس، Goulianos ,Joan: " لم يكن غريبا على المرأة بعد أن استطاعت أن تكتب في مواضيع مختلفة، أن تتباين أصواتهن تجاه قضاياهن؛ فتارة بصوت غاضب، وتارة أخرى ساخر لأوضاعهن، وتارة خائف. هذه المشاعر لم تكترث الكاتبات من أن تتناولها في أعمالهن الأدبية. ولم يكن ذلك غريبا، وذلك لأن من يرصد مواضيع الكاتبات بدأ من مارجريت كيمب، حتى مارجريت كافيندش، وصولا بفرجينيا وولف خلال حقب من العصور، كانت مواضيع الكاتبات تدور حول محاولات عديدة لإظهار الحقائق، وما يطمحن إليه". (Goulianos , 1973, P, xix) .

كان من الواضح أن النساء يؤثرن الكتابة في نوع الرسائل الروائية، لأن نوع الرسائل بطبيعة بنائها الأدبي ومدلولها الذي يشير إلى بعدين لهما أهميتهما في طبيعة المرأة؛ هما: رسالة تتضمن مدلول التواصل مع الآخر؛ للتعبير عن ما يجول بخواطرهن، أو شرح الواقع الذي يعشنه، أو إيصال أفكارهن في شئونهن الحياتية. ثانيا: الروائية؛ ومدلولها يرمي إلى الإخبار بالشيء أو التعبير عنه، وهي بذلك تعمل على تبادل الفكر و المشاركة في تناول الأمور المتعلقة بالمرأة في المجتمع الأوروبي، سواء كانت مضامين الرسائل حقيقية كتبادل معلومات بين صديقات، أو أنها ممزوجة بالخيال الأدبي. حتّى أن الرسائل الروائية أصبحت مصدرًا للمعلومات عن المجتمع الأوروبي، خاصة وضع المرأة.

هكذا كانت الرسائل المتبادلة بين النساء الكاتبات والكتّاب الرجال، ظاهرة أدبية بلغت أوج تطورها في القرن الثامن عشر، حتّى أصبحت نوعًا أدبيًّا متميّزًا ومعروفًا في الساحة الأدبية والنقدية. تمثِّل هذا النوع الأدبي، رواية باميلا لريتشارسون، التي تعتبر نموذجًا فريدًا لنوع الرسائل الروائية. وكان لعنصر المرأة دور بارز وهامٌ في جعله نوعًا أدبيًا مشهورًا في ذلك العصر. سواءً كانت إحدى شخصيات الرسائل، أو كانت هي الكاتبة، وهو ما تؤكِّده الدراسات النقدية والتاريخية (Perry, 1943 ,15 وغيرهما، مما يدل على أن النساء الكاتبات كن الأوائل في ممارسة الكتابة في هذا النوع الأدبي، وبالتالي سجلن أسماءهن في سجل التاريخ الأدبي. يقول بيري: "أن ما كتب في جنس الرسائل الروائية قبل ريتشاردسون بلغ 72 مؤلف روائي، كتبها كتّاب رجال، و54 رسالة روائية كتبت بواسطة النساء.(Perry, 1943 , 17) و في ذلك إشارة إلى دخول المرأة بفاعلية قوية في مجال كتابة الرسائل، خاصة وأن أعمالهن الأدبية تتسم بقيمة نوعية وعددية كبيرة، الأمر الذي يبرر ما يقال بأن المرأة لعبت

دورًا كبيرًا في تطوير جنس الرسائل الروائية في الأدب الإنجليزي، في الشكل والمضمون.

إسهامات الكاتبات الفرنسيات في الرسائل الروائية

لم تكن المرأة الفرنسية في إسهاماتها الكتابية في جنس الرسائل الروائية أقل من المرأة الإنجليزية ، فقد لعبت دورًا بارزًا في إثراء الساحة الأدبية من خلال كتاباتها للرسائل الأدبية، والتي بدأت بمحاولاتها في مجال الترجمة، حيث كانت تهدف من الترجمة أن تصل إلى مستوى تعليمي يمكنها من الكتابة، من ناحية، و من ناحية أخرى، أن تشارك بكتاباتها وبما تحصلت عليه من معرفة لآداب الإغريق والرومان الحراك الفكري والأدبي في المجتمع الفرنسي، خاصة الطّبقة المثقّفة ، إضافة إلى أنها من خلال ممارستها للترجمة كانت تهدف إلى طرح مواضيع تتعلق بالمرأة ووضعها الاجتماعي والفكري اللذان كانت المرأة الفرنسية تسعى إلى تحقيقهما من خلال مشاركاتها الكتابية.[22] سواء ما قامت به من ترجمات، أو كتابة الرسائل الشخصية التي كان يتم تبادلها فيما بين الصديقات أو أفراد أسرهن. وكانت مواضيع تلك الرسائل تبدو أنها مواضيع شخصية بين الشخصيات في الرسائل، إلاّ أنها كانت تهدف إلى تصوير المجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر، إضافة إلى وضع المرأة وما كانت تطمح إليه من مكانة في المجتمع، خاصّة في الجانب العلمي والفكري والأدبي. وقد ظهر العديد من الأسماء التي برزت في كتابة الرسائل الروائية في الأدب الفرنسي، وأخذ ظهور أسماء الكاتبات اللاّتي برعن في كتابة الرواية في قالب رسائلي يتوالى مثل؛ مدام دي ديفاند(1697-*M*adame du Deffand(1697 ،مدام دي باري (Madame du Barry1780) Marie Jeanne Riccoboni 1713-1792 Fransois,Graffigny (1695 – 1758) وغيرهن من نساء القرن الثَّامن عشر اللّاتي اشتهرن في كتابة الرسائل، وساهمن بدور كبير في إثراء جنس الرسائل الأدبية. وكانت الكاتبات الفرنسيَّات يتعرّضن لطرح مواضيع تتعلّق بوضع المرأة في المجتمع الفرنسي بهدف معالجة ظروفهن الحياتيّة ومشاكلهن أو المطالبة بحقوقهن في المجتمع أو التعبير عن طموحهن وآمالهن في مجتمع كان ينظر للمرأة نظرةيقل فيها التقدير أو الاعتراف بقدراتها الفكريّة والأدبيّة، وإسهامها الفعلي في الكتابة الأدب[23] حيث استطاعت المرأة الفرنسية من خلال كتابة الرسائل، أن تظهر اقتدارها في الكتابة الأدبية، خاصّة كتابة الروايات، وأنواع أخرى من الأساليب الفكرية والأدبية؛ كالأسلوب الدرامي والوصفي والروحي والفلسفي، والتي كانت في الغالب من الأساليب التي برع فيها كبار الكتّاب الرجال.

تُعتبر مدام دي فاند *M*adame du Deffand من أشهر كاتبات الرسائل الفرنسيات. وصِفت رسائلها بالحيوية ورصد الوقائع الحياتية، إضافة إلى أنها اتسمت بسمة الإمتاع لأنها تتضمن مواضيع مسلية في عرضها للوقائع الحياتية. رسائلها التي وجهتها للكاتب هوراس ولبول Horace Walpole الذي كانت تربطه بها علاقة فكرية وصداقة حميمة، كانت تجسد جانبا من شخصيتها التي تتسم بالحكمة، و حرية التعبير في كتاباتها

عن الحياة الاجتماعية والفكرية، وكانت بذلك تصور المجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر. التواصل الفكري الاجتماعي عبر السائل بين مدام دي فاند والكاتب ولبو هوراس وغيره من كتّاب القرن الثامن عشر، كان له قيمته الملحوظة في الوسط الاجتماعي والأدبي، حيث منحت رسائلها هؤلاء الكتّاب مُناخا اجتماعيًّا وفكريًّا الذي يميلون إليه، خاصّة وأن مدام دي فاند كان لها صالونها الأدبي الذي لعب دورًا كبيرًا في خلق هذا المُناخ، ولذلك اعتبرت رسائلها من أميز المؤلفات التي جسدت الأساليب الكتابية. (Bernier ,27).

ولذلك اعتبرت رسائل مدام دي فاند؛ ذات قيمة أدبية وتاريخية رغم ما يتخللها من أسلوب يعبر عنها شخصيا، إلاّ أنها قد تعبر أيضًا عن بعض الشرائح النسائية كذلك، لذلك النقاد اعتبروها لوحة فنية رسمت بالكلمات تجسِّد الواقع الاجتماعي الفرنسي، مثال على هذا التوجه في رسائلها؛ رسائلها التي كانت توجهها لفولتير الفيلسوف الفرنسي *Voltaire* فقد كانت تتضمن رأيها بوضوح تجاه فلسفة فولتير بل كثيرًا ما كانت تعارضه في بعض الأفكار التي كان يتبنّاها في فلسفته، والتي كانت في غالبها نقدا للمجتمع الفرنسي، وما كان سائدًا فيه كبعض الممارسات الممثلة في التضييق على حرية التعبير.

في رسائلها لفولتير تظهر جانبا من شخصيتها المرحة التي تنظر للأمور بمنظور يتسم بالمرونة في معارضة الجانب الآخر، وتميل إلى الاهتمام بالأسلوب الأدبي والبلاغي في كتابة الرسائل، حيث توازن بين مضمون الرسائل والصياغة الفنية الأدبية في لغة الرسائل، فهي رغم تواصلها مع أشهر الكتّاب والفلاسفة في المجتمع الفرنسي، و مشاركاتها الفكرية والأدبية معهم من خلال صالونها الأدبي الذي يحضره كبار الفلاسفة والكتّاب، و ما قيل عنها أنها في رسائلها تميل إلى إظهار الجانب الشخصي، إلاّ أن عددا كبيرًا من النقّاد يؤكدون أن رسائلها تُعتبر مصدرًا لرصد الحياة الفكرية في القرن الثامن عشر في الأدب الفرنسي [24]

ويعتبر الكاتب هوراس ولبول، من أبرز الكتّاب الذين أشادوا برسائل مدام دي فاند، وقد كان صديقًا حميما لها ، وكانت رسائلهما تتضمّن الكثير من المواضيع والأفكار الهامة سواء كانت شخصية أو عن المجتمع الفرنسي، أو عن الفكر والأدب، رغم وجود بعض الاختلاف في آرائهما تجاه بعض المواضيع والأمور عامّة وعنهما بصفة خاصّة [25]

أشاد النُّقاد بأسلوب رسائل مدام دي فاند وتميزها في الصياغة الفنية وكذلك مضمون الرسائل التي ترصد جوانب متنوعة من المواضيع عن المجتمع الفرنسي في القرن الثامن عشر، وإن كانت في الظاهر تبدو وكأنها تتحدث عن شخصها وهي تحاور الشخص الذي تخاطبه في الرسالة، أشار إلى هذا الأسلوب؛ الناقد ليونيل ديويست (Lionel Duisit) مبينًا أن لمدام دي فاند أسلوب مميز ومطور في المواضيع التي

تتناولها في حواراتها التي تتضمنها رسائلها. [26]كان الأسلوب البلاغي في صياغة الرسائل من الأمور التي نالت جانبا كبيرا من الطرح النقدي الذي وجهه النقاد لكتابات مدام دي فاند، في تحليلهم لرسائلها، وذلك لإبراز القيمة الجمالية في لغة الرسائل، وهي أحد الجوانب التي كانت مدام دي فاند توليها اهتمامها.

كما كان لصالون مدام دي فاند الذي كانت تديره في منزلها دور كبير بدت آثاره واضحة في جانبين: أولاً: شارك في خلق حراك فكري وأدبي في المجتمع الفرنسي؛ الذي لعبت ظاهرة الصالونات الأدبية التي تديرها نساء مثقّفات وكاتبات، دورًا كبيرًا ظهرت أبعاده في استقطاب مشاهير الكتّاب الفرنسيين الرجال الذين كانوا يرتادونها؛ وكان صالون مدام دي فاند من أبرز هذه الصالونات، بسبب أن من كانوا يرتادونه هم من مشاهير الفكر والفلسفة, أمثال: مونتيسكيو، (Montesquieu) دولامبيرت، (d'), Alembert ديديرو، (Didero) فولتيرMarmontel(Voltaire) مارمونتيل, وغيرهم من مشاهير الكتّاب والفلاسفة. ثانيًا: ثراء كتاباتها الأدبية عبر الرسائل التي كانت تتراسل تمارسها مع أصدقائها الكتّاب والكاتبات، والتي كانت بمثابة توثيق لما كان يُطرح من لمواضيع وأفكار في الصّالون.

ولكن ما نتج عن انتشار ظاهرة الصالونات الأدبية في المجتمع الفرنسي، أثر في جنوح بعض من رواد صالون مدام دي فاند، حيث بدأ يقل عدد أعضاء الصالون من الكتّاب والفلاسفة، إضافة إلى وفاة بعضهم ، كذلك تقدم عمر مدام دي فاند كان له أيضا دور في خفوت نشاط صالونها الأدبي. إلا أن الكاتب ولبول هوراس إخلاصا لمدام دي فاند قام بالاحتفاظ بالرسائل من خلال طباعتها ونشرها[27]

الخـاتمة

من الملاحظ أن الدور الذي لعبه جنس أدب الرسائل، في تجسيد صور عن المجتمع، و عن واقع الإنسان الحياتي، أثبت أن نوع الرسائل كان أقرب الأساليب الأدبية وألصقها لطبيعة الإنسان، فهي وسيلة تواصل والتقاء بين الأفراد، و من ثم وسيلة تقارب؛ لما تتسم به عناصرها من حيث البناء والمضمون من سهولة التناول ووضوح التعبير. فالرسائل الروائية بنيت على وجود شخوص قد تكون حقيقية أو مُتخيَّلة؛ تتبادل الأفكار والمشاعر.

مواضيع الرسائل تميل إلى نقد المجتمع في بعض أوجه الحياة الاجتماعية، ونقد سلوك بعض الطبقات، خاصّة الطبقات الأرستقراطية، كما تتضمَّن تفاصيل الحياة التي تعيشها المرأة الأرستقراطيّة، ووصف مظاهر الحياة المترفة التي تتمثّل في البذخ في الملبس والمأكل وحضور الصَّالونات الأدبيَّة للظُّهور فقط، وليس للمشاركة الفكريَّة والأدبية. لكن في المقابل تصور الرسائل الروائية شرائح أخري من النِّساء يعشن حياة بسيطة، بل قد تكون أحيانا قاسية، رغم أنهن يتمتّعن بقدرات فكريّة ومهارات في الكتابة، لكنّهن لا يستطعن أن يصرّحن بمتطلّباتهن إلاّ بأسلوب غير مباشر فكان ذلك

عن طريق الكتابة برسائل أخذت شكلاً أدبيًا[28] فقد كان بعض من هؤلاء الكاتبات يصدرن أعمالهن الأدبية بأسمائهن، لكن بعضًا من الكاتبات كن يصدرن مؤلفاتهن تحت أسماء مستعارة، أو يخترن صفة لهن فقط؛ مثال السيدة، (By a lady) . ولكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تقبل المجتمع الإنجليزي والفرنسي ككاتبات رسميات، وأصبح بعض منهن يعتمدن على دخلهن من التأليف وما يحصلن عليه من بيع أعمالهن الأدبية. (Halsband, 1976,55)[29]

بعقد مقارنة بين الرسائل الروائية في الأدب الإنجليزي والفرنسي، نلاحظ أنه لا يوجد اختلاف كبير في البناء الشكلي أو في مضمون الرسائل الذي يصور مجتمعين متقاربين في أوجه حياتية كثيرة، و يعود ذلك التّقارب إلى أنهما يلتقيان في أوجه عديدة؛ تاريخيا واجتماعيا وفكريًا، فالمجتمع الأوروبي عامّة، ومنهم المجتمع الإنجليزي والفرنسي تأثروا بالفلسفة الإغريقية، خاصة في العصر الكلاسيكي وعصر النهضة وعصر التنوير الذي نحن بصدد دراسته؛ فحاكوا الإغريق في التعبير عن الفكر وحرية الرّأي، وكان ذلك التّأثر ناتج عن عصر النهضة الذي تأثر فيه الفكر الأوروبي بالفلسفة الإغريقية، إلاّ أن المجتمع الإنجليزي اختلف عن المجتمع الفرنسي في ما يتعلق بحرية التعبير، حيث كان الإنجليز أكثر حرية، وكان هذا الأمر يظهر بوضوح في المواضيع التي يتضمنها الأدب بصفة عامّة والرسائل الروائية على وجه الخصوص، ولعل هذا الأمر هو الذي دفع بعض الكتاب والفلاسفة الفرنسيين يذهبون إلى عاصمة الإنجليز (لندن) باحثين عن مساحة الحرية للتعبير عن أفكارهم وفلسفاتهم ويطلقوا لإبداعاتهم العنان في طرحهم الفكري والأدبي. و كان البعض الأخر من الأدباء الفرنسيين، يستخدم رموزا في رسائله تشير إلى واقع المجتمع الفرنسي، و ما ينتشر فيه من أساليب وطرائق ينتقدها الكاتب، فيرمز لها بأشخاص أو أماكن أو حتى مجتمعات غير المجتمع الفرنسي، كما في رسائل مونتيسكيو (الرسائل الفارسية) لكي يعبر بحرية عن انتقاده للمجتمع الفرنسي وما ينتشر في من سلوكيات وأخلاقيات غير لائقة في رأي الكاتب، كذلك كان الروائي صامويل ريتشاردسون مؤلف رواية باميلا التي صوّر فيها المجتمع الإنجليزي و ما يسوده من أساليب خاطئة من قبل الطبقات الأرستقراطية؛ كالاستعلاء على الطبقة الوسطى، والتفاخر بما يمتلكون من ثراء مادي ومستوى اجتماعي، وما يترتب على ممارسة تلك الأساليب من مظاهر اجتماعية ينتقدها ذوي الفكر والأدب، فيصوروها في كتاباتهم بغية الحد منها، واستبدالها بأساليب حياتية تليق بإنسانية الإنسان، ينتج عن ذلك بث القيم التي يرتقي بها إنسانيًا وفكريًّا.

هوامش المادّة العلمية:

1- (Godfrey,Frank Singer, the epistolary novel, p;6-7) .

2- The epistolary novel: its origin, develoment, decline, and residuary influence, by godfrey frank, philadelphia, 1993. P: 01.

3- (Godfrey,Frank Singer, the epistolary novel, p; 1 -2) .

4- Residuary Influence ,by Godfrey Frank Singer, Philadelphia, 1933. P: 1-2

5- The Oxford Companion English Literature, p, 965

6- The Oxford Companion English Literature, p, 925 -26

7- ظهرت أسماء كتاب في جنس الرسائل الروائية؛ منهم: Marie Arouet Voltaire(1694 - 1778) , Jean Jacques Rousseau(1712 -78), Charles Louis Montesquieu(1689 - 1755) , Diderot, Denis, (1713 -1784) Alexander Pop(1688 -1744), Samuel Johnson (1784 – 1709),Samuel Richardson (1689 -1761), Joseph Addison(1672 -1719), John Dryden**,**

8- صمويل ريتشاردسون *Samuel Richardson*من كتاب جنس الرسائل الروائية، الكاتب الإنجليزي *1689 -1761*ومن مؤلفاته التي تجسد هذا النوع الأدبي روايتا باملا*Pamela*(1740) تعتبر من أبرز الأعمال الأدبية التي تُدرَّس في الجامعات الأمريكية والأوروبية حتَّى يومنا هذا. فالرواية تصور الواقع الأخلاقي للمجتمع الغربي الذي ساده الفساد في القرن18th صاغها في رسائل كتبت من قبل بطلة الرواية باملال بطلة الرواية باملا التي كانت تعمل خادمة عند إحدى سيدات انجلترا، وكانت تتحدّث في رسائلها عن السيدات الإنجليزيات ذوات الطّبقة العالية وكيفية الحياة المترفة التي تعيشها هذه الشريحة من النساء.

وتعتبر رواية باميلا من أبرز الأعمال الأدبية التي تُدرَّس في الجامعات الأمريكية والأوروبية حتَّى يومنا هذا. وهي تصور الواقع الأخلاقي للمجتمع الغربي الذي ساده الفساد في القرن الثامن عشر، صاغها في شكل رسائل. Godfrey *Frank Singer, The Epistolary Novel, Philadelphia Press, 1933,P33*

امتدت شهرته إلى فرنسا، فاستعمله جان جاك روسّو Jean Jacques Rousseau في روايته(هيلوويز الجديدة) *la Nouvelle Héloïse* و تشارلز دي مونتيسكيو *Charles. de Montesquieu* (1689- 1755) وهو من أشهر الكتّاب الفرنسيين الذين اشتهروا بكتابة الرسائل القصصيّة في الأدب الفرنسي في القرن الثّامن عشر. أشهر أعماله الأدبية "الرسائل الفارسيّة" *Persian Letters* وهي عبارة عن 161رسالة كتبت في قالب قصصي من قبل شخصيّات افترضها الكاتب في قالب روائي، معظم شّخصيّات الرواية ليسوا من المجتمع الفرنسي، بل من بلاد فارس يتراسلون مع بعضهم مشيرين في رسائلهم إلى نواقص المجتمع الفرنسي وسلبيّاته، يهدف مونتيسكيو في هذه الرسائل إلى نقد المجتمع الفرنسي في القرن الثّامن عشر.أنظر *Master plots, volume*, 8 , p, 4607

9- "Pamela", or "Virtue Rewarded" is a romantic tale that created, in effect, the epistolary form of the novel. Richardson's obvious absorption in preaching a moral does not hold =our attention today, but the work is valuable for the picture it presents of life in the eighteenth century and of the code of morals to which people then held. The device of letter writing to tell a story does not always stand up under the test of reality, but its failure is more a matter for amusement than for condemnation. Richardson was a pioneer of the English novel, and he wrote with a moral earnestness and innocence of =technique impossible for the modern writer.(See: Master Plots, Revised Edition, Edited by Frank N. Magill Volume 8, Salem Press 1967 P: 4472)

10- ورد تقييم نقدي لقصة باميلا Pamela أن المؤلف ريتشاردسون Richardson منح قصته قوة باستعمال أسلوب الرسائل القصصية، يقول:

Frank N, Magill :"The strength of the plot structure lies in Richardson's epistolary form which, its shortcomings notwithstanding, does convey a degree of realism. Letters are normally a means for the relation of one's common factual doings, and they presuppose an actual writer and an actual reader .See:Master plots , volume 8Editted by, Frank N, Magill, Salem Press, Englewood Cliffs, New Jersey 07632, P4475

11- Although the writing is in a formal mode in keeping with the status of the correspondents, Montesquieu's tone and style never become stiff or artificial. The satire is by turns muted in the mellowness of friendly correspondence and proclaimed in the harshness of international criticism…. In spite of Montesquieu's title, the aim of writing is not a sociological pictureof life in a Pesian harem. It is a subtle, accurate satire of French society pointing up the decadent attitudes and loose morals from 1712, in the last years of the reign of Louis xiv and the reign of Philip Due de Orleans, during the minority of Louis xv. (Master plots , volume 8, p: 4607) .

12- Yes, I have deceived you, I had ledaway your aunuchs … and I have known how to turn your frightful seraglio into a place of pleasure and delight. …How could you think that I was such a weakling as to imagine there was nothing for me in the world but to worship your caprices; that while you indulged all your desires, you should have the right to thwart me in all mine? I have remodeled your laws upon those of nature; and my mind has always maintained its independence Master plots vol 8, p4608

13- تشير نظرية "الطبقة الفراغية" التي جاء بها عالم الاجتماع الأمريكي Fablen إلى أن المترفين من أبناء الطبقات العليا يحاولون بكل جهدهم أن يتّخذوا من المظاهر والشّعائر الخارجية ما يميزهم عن أبناء الطّبقات الدنيا، فهم يحرصون على أن تكون مظاهرهم معقّدة وملابسهم وأدواتهم غالية الثّمن لكي لا يستطيع الفقراء منافستهم عليها. أنظر: ضياء خفيّر، ثنائيات مقارنة، ص 200

14- In the beginning they [women] copied men, and saw through men's eyes, because – here and elsewhere – they assumed that men's dicta and practice in life and art were their only possible guides and examples, women to – day take up every form of fiction attempted by men because they assume that their powers are as great, their right to express themselves equally varied(Brimley Johnson, The Women Novelist, p:150) A bluestocking is n educated intellectual women, The term most often refers to a specific group of 18th century intellectual and learned women led by the hostess and critic Elizabeth Montegu (1720 – 1800) who later called; " The Queen of the Blue" The of bluestocking including : Elizabeth Vesey (1715 – 1791) , HasterChapone (1727 - 1801) Elizabeth Carter (1717 -1806), Hannah More (1745 – 1833), and Frances Burney (1762 – 1840), Ann Yearsley (1753 – 1806) Catharine Macaulay (1731 -1791) Mary Moser (1744 -1819) Anna Seward (1742 -1809), HasterChapone (1727 – 1801) Angelica Kauffman (1741 – 1807), Frances Bossawen (1719 -1805) Mary Wollstonecraft (1759 -1797).(Mary Manly)1663 – 1724(See Ethel Rolt

كما رصد معجم الكاتبات الإنجليزيات .(Wheeler, Famous Blue –Stocking, p. 23
- *1762*والأمريكانيات عددا من الكاتبات، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1689 (*Lady Mary Wortley Montagu*)مونتيجيو *إليزا بيث*، *Elizabeth Montagu(1720*Dorothy *Osborne* ،*Emily EdenIsabella Bird*

AphraBehn, Fanny Burney, Eliza Hawood, Elzabeth Montagu, Lady Mary Wortly, Isabella Bird ، *Hannah More – 1800* *القاموس* *هذا* *رصد* *وقد*467. كاتبة إنجليزية وفرنسية *Writers 1660 American British and See : A dictionary Of*

15- Mrs .Behn was a middle – class woman with all the plebeian virtues of humour ,vitality and courage ; a woman forced by the death of her husband and some unfortunate a adventures of her own to make her living by her wit . she had to work on equal terms with men. She made , by working hard , enough to live on. The importance of that face outweighs anything that she actually wrote for here begins the freedom of the mind, or rather the possibility that in the course of time the mind will be free to write that it likes… AphraBehn proved that money could be made bya agreeable qualities. Woolf 95 – 97)

16- Elizabeth Montagu , واحدة من *the bluestockings*:كتبت رسالة عن صديقة لها تقول

I really believe she was just some like Eve before she ate the apple, at least she answers to Milton's description of her. She would have preferred her husband's discourse to the angles. I am afraid you and I my dear friend should have entered some metaphysical disquisitions with the angel, we are not so perfectly the rib of man as woman ought to be (See 800 Years of Women's Letters ,p: xiv)

17- The Forc'd) Marriage, The Amorous Prince, Like Father, Like So British And n, The Emperor of the Moon The History of the Nun ,The Counterfeit Bridegroom

See A dictionary of British and American Women Writers 1660 - 1800, P;43

18- Fanny Burney, one of the talented and gifted writers, says In the following letter: "I am now writing in the pleasantest place belonging to this house. It is called sometimes the "Look out" as ships are observed from hence, and at other times the cabin. It is at the end of a long garden that runs along the house. I always spend the evening , sometimes all the afternoon, in this sweet cabin , except sometimes , when unusually thoughtful. I prefer the garden . I cannot express the pleasure .I have in writing down my thoughts , at the very moment – my opinion of people when I first see them, and how I alter or confirm myself in them. There is something to me very unsatisfactory in passing year after year without even a memorandum of what youndid . And then, all the happy hours I spend with particular friends and favorites would fade from my recollection" (d, Arbly 226)

19- Lady Mary Wortle Montagu is well known for her lively interest in intellectual and social concerns, particularly women's right and education. Her lively correspondence appears in various letters of her literary works. In this letter she gives unusual advice on the need for developing interests, since even a rich woman is 'destined' for retiring life.

20- Dear child, You have given me a great deal of satisfaction by your account of your eldest daughter, I am particularly pleased to hear she is a good arithmetician; it is the best proof of understanding; the knowledge of numbers is one of the chief distinctions between us and brutes. If there is anything in blood, you may reasonably expect your children should be endowed with an uncommon share of good sense. MrWortly's family and mine have both produced some of the greatest men that have been born in England. I will therefore speak to you as supposing Lady Mary not only capable, but desirous of learning ; in that case by all means let her be indulged in it. You will tell me I did not make it a part of your education: your prospect was very different from hers. As you had much in your circumstances to attract the highest offers, it seemed your business to learn how to live in the world , as it is hers, to know how to be easy out of it. … Learning, if she has a real taste for it, will not only make her contented, but happy in it. No entertainment is so cheap as reading , nor any pleasure so lasting, She will not want new fashions, nor regret the loss of expensive diversions, or variety of company, if she can be amused with an author, in her closet. To render this amusement complete, she should be permitted to learn the languages. (see 800 Years of Women's Letters p: 11)

21- I *am well situated for airing being on the edge of a turnpike road, and the said road commands* as good a prospect as any in this part of the country, but the amenity of our southern

countries is not to be found here. The people here are little better than savages, and their countenances bear the marks of hard labor and total ignorance. Our pitmen are literally as black as a coal; they earn much more than laborers, their children get a shilling a day at 9 or 10 years old, but they are so barbarous and uncultivated. …" (see: *Irving*, 1955, 53)

22- It had many functions: to inform; to instruct (children, even monarchs at times); to entertain family and friends with descriptions of society or daily life(by writers as amusing as Madame de Sévigné and Fanny Burney); to keep up relationships (a female quality) ; to convey news, to recount travels, to give advice on many issues, from personal to public; to explore psychological problems, often with wisdom and insight, before counseling was
thought of; to keep in touch, to offer love and express caring (se800 years 0f Women's Letters, p:ix

23- French Women in the eighteenth century, used translation to educate themselves, and participate publicly in the literary and scientific debates of their time. Their practice of translation was in fact linked to gender issues they sought to address an attempt of their position in society. See (Women writers and Translation in Eighteenth- century France, by Marie–Pascal Pieretti, The French Review,vol,75,No 3, February, 2002, p: 474)

24- The women letter – writers' ability to use many types of discourse is evident. They include the conversational, the descriptive, the dramatic, the caring, the spiritual – some of which may be termed "feminine" and rational, philosophical discourse, … since it was too frequently the preserve of males in power, …With many women, skill in using the pen to persuade was highly developed.

25- نموذج من رسائل مدام دي فاند:

En Effet, les lettres de la marquise, chef d'œuvre de grâce, foisonnant de récits alertes, constituent une mine de renseignements sur de nombreux événement et personnes. De plus, elles forment non seulement une chronique, la transcription d'une actualité individuelle; elles représentent la transformation d'une réalité quotidienne dans un temps écoulé'. Elles ne diront jamais assez puisqu' une lettre est toujours si incomplète et une vie si complexe que toute interprétation la viole '.(see Klerks, 1961, p: 9-10)

26- النموذج التالي من رسائلهما يوضح بعضًا من آرائهما:

Je n'attendrai point que j'aie reçu une lettre de Londres pour vous écrire: nous sommes convenus que j'en passerais mon envie aussitôt qu' ' elle me prendrait (Walpole, Vol. III, p. 10.).
Vous me ferez in plaisir extrême de ne me laisser rien ignorer de tout ce qui vous intéresse; notre correspondance ne saurait être trop intime... (Walpole, Vol. III, p. 22.).
Notre correspondance deviendra pénible et très peu satisfaisante si vous ne mettez pas pied à terre, et si vous ne répondez pas bêtement à toutes mes bêtises (Walpole, Vol. III, p. 32.).
Je ne comprends pas comment j'étais tombée à user d'un langage que j'ai toujours fui et proscrit, et que vous aves toute raison de détester. Voilà donc un nouveau baptême, et nous allons être l'un et l'autre bien plus à notre aise (Walpole, Vol. III, p. 146.).
En ne faisant rien, en ne disant rien, et même en ne pensant rien (car il est à propos d'aller jusque-là), on évite de déplaire, on se procure de la tranquillité à soi-même, on ouvre les lettres on revoit sans craintes et sans terreurs, on est sûr de n'y rien trouver qui choque, on s'en tient là, parce qu'à toute force on se passe de ce qui fait plaisir. (Walpole, Vol. III, p. 295)

27- Les appréciations de Mme du Deffand sur les œuvres ressemblent en quelque manière à celle de son correspondant. Aussi ses opinions les mieux développées se présentent-elles sous la forme orale presque toujours dans un contexte dialogue. Pour que sa conviction se fasse jour, il faut que son impression personnelle s'oppose d'une apologie,… (see Lionel Duisit 39)

يقول أوليفر بيرنير (Olivier Bernier):

Walpole wasfinally able to do hisfriend justice. By publishing her letters, he made sure that " long after the reputation of her salon had faded, Mme du Deffand would be remembered gratefully by all those who find pleasure in a lively mind and a sharp pen" (Bernier, 1981, 34)

28- These Letter are valuable for many reasons, including the range in the earlier centuries women's correspondence of topics discussed, and variety of styles. They show women using one of the few forms of writing open to them with wit and skill. Already matches the expressiveness if not erudition of mens'. By the sixteenth century their scope has increased and they use the more complex, gravely formal discourse of Tudor age, to draw attention to female needs . Lively conversational modes developed in the eighteenth century, when women were famed for their wit and political acumen. They prefigure the direct, sometimes colloquial registers of today. This wealth demonstrated that a tradition of female letter-writing has existed for at least eight centuries. (see 800 tears of Women's Letters, by OLGA KENYON, Sutton Publishing Limited, 1997, P:ix Introduction

29- بعض من هؤلاء الكاتبات كن يصدرن أعمالهن الأدبية بأسمائهن، لكن بعضًا من الكاتبات كن يصدرن مؤلفاتهن تحت أسماء مستعارة، أو يخترن صفة لهن فقط؛ مثال السيدة،(By a lady) هذه الظاهرة استمرت حتّى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر. أي حتى عصر جين أوستين (Jane Austin) في إنجلترا و مدام دي ستال (Mme de Stael) في فرنسا. ولكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تقبل المجتمع الإنجليزي والفرنسي ككاتبات رسميات، وأصبح بعض منهن يعتمدن على دخلهن من التأليف وما يحصلن عليه من بيع أعمالهن الأدبية. (See, Halsband , 1976, 55)